Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

The Role of Agriculture in Achieving Sustainable Development in Africa (Tunisia) during the Hafsid Period

Noha Ahmed Mohamed

Department of History / College of Arts / University of Mosul / Mosul - Iraq

Article Information

Article History:
Received Nov, 2, 2025
Revised Nov ,12 .2025
Accepted Nov 16, 2025
Available Online Feb. 1, 2026

Keywords:
Olive
Palm trees
Fruits
Grains
Tiger nut (Hab Al-Aziz)
Oleander (Defla)

Correspondence:
Noha Ahmed Mohamed
nuhaalbadrani73@uomosul.edu.iq

Abstract

Sustainable development issues have become the focus of discussion in our present era due to the many dangers facing the human race, which has become necessary to rearrange the Earth's natural resources in a way that allows us to use them and sustain them more effectively and for the longest possible time, because in their sustainability lies the sustainability of human existence on the surface of the Earth. One of the most important aspects that requires continuous research is the role of agriculture in achieving sustainable development, as agriculture is one of the oldest and most sacred professions practiced by humans since ancient times, which has ensured their survival until the present time. Therefore, we say that agriculture is the backbone of life today, as it is the ideal solution to confront the problems and crises facing the world, such as hunger, drought, desertification, and many others. Through it, we achieve food security for human societies. It also contributes to the development of the global economy and preserves natural resources, especially soil and water. It contributes to improving the climate, which represents the greatest challenge we face today, with the decline of the most dangerous cover, forest fires, the expansion of the ozone hole, the encroachment of cities at the expense of the countryside, the rise of temperatures to abnormal levels, the drying up of rivers, and many other problems that can only be solved by developing the agricultural sector everywhere. Therefore, we found it useful to research this topic within our Islamic history, specifically in the Hafsid state. Being a country that was established on a large agricultural area in Africa (Tunisia), which is considered one of the most fertile areas in the Islamic Maghreb, we may find some solutions that we can benefit from in facing the crises in our lives today

DOI: ----------, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license ((http://creativecommons.org/licenses/by/4.0).

دور الزراعة في تحقيق التنمية المستدامة في افريقية (تونس) اثناء العهد الحفصي

نهى احمد محمد *

* قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة الموصل / الموصل - العراق

المستخلص:

أصبحت قضايا التنمية المستدامة محور الحديث في عصرنا الحاضر نظراً لكثرة الاخطار التي اخذ يواجهها الجنس البشري والذي اصبح بحاجة الى إعادة ترتيب الموارد الطبيعية للأرض بشكل يتيح لنا استخدامها وديمومتها بشكل اكثر فاعلية ولأطول زمن ممكن؛ لأن في ديمومتها ديمومة الوجود البشري على سطح الأرض ومن اهم الجوانب التي تحتاج الى بحث مستمر هو دور الزراعة في تحقيق التنمية المستدامة، كون الزراعة من اعظم واقدس المهن التي مارسها الانسان منذ القدم والتي ضمنت بقاءه حتى الوقت الحاضر، لهذا نقول ان الزراعة هي عصب الحياة اليوم كونها الحل الأمثل لمواجهة المشكلات والأزمات التي يواجهها العالم كالجوع والجفاف وظاهرة التصحر وغيرها الكثير ففيها نحقق الامن الغذائي للمجتمعات البشرية كما انها تسهم في تطور الاقتصاد العالمي وتحافظ على الموارد الطبيعية وعلى رأسها التربة والمياه وتسهم في تحسين المناخ الذي يشكل التحدي الأكبر الذي نواجهه اليوم مع تراجع الغطاء الأخضر وحرائق الغابات واتساع ثقب الأوزون وزحف المدن على حساب المناطق المزروعة وارتفاع درجات الحرارة الى معدلات غير طبيعية وجفاف الأنهار وغيرها الكثير من المشكلات التي لا حل لها الا بتطوير القطاع الزراعي في كل مكان، لهذا وجدنا من المفيد البحث في هذا الموضوع ضمن تاريخنا الإسلامي وتحديداً في الدولة الحفصية كونها دولة قامت على رقعة زراعية كبيرة في افريقية (تونس) التي تعد من اخصب بقاع المغرب الإسلامي لعلنا نجد بعض الحلول التي نستفاد منها في مواجهة الازمات في حياتنا اليوم .

الكلمات المفتاحية : الزيتون، النخيل، الفواكه، الحبوب، حب العزيز، الدفلة.

المقدمة

تعد الزراعة من اقدم واجل المهن والاعمال التي مارسها الانسان منذ اقدم العصور ضماناً لديمومة بقائه على سطح الأرض فقد تعلم الزراعة قرب الأنهار وفي السهول المنبسطة فأبدع بها وتفنن في هندسة المزارع والبساتين وزراعة الأشجار المتنوعة والحقول الغناء وشتى صنوف المزروعات لا لشيء ولكنه ادرك ان بقاءه حياً يرتبط باستمرارية وديمومة الزراعة لما لها من أهمية كبيرة في القضاء على الجوع وتحسين الأوضاع الاقتصادية وديمومة الغذاء وتلطيف المناخ وغيرها الكثير من فوائد الزراعة، وإيماناً منا بأهمية هذا الموضوع كونه يتزامن مع ما تعانيه الأرض اليوم من الارتفاع الكبير في درجات الحرارة وتراجع المساحات المزروعة على حساب ظاهرة التصحر والتي تعني بالتأكيد فناء الجنس البشري لهذا ارتأينا ان نسلط الضوء على اثر الزراعة في تحقيق التنمية المستدامة في بلاد المغرب (افريقية) خلال العصر الحفصي (626-981هـ / 1229-1573م) ذلك العصر الذي شهد اهتماماً كبيراً في الزراعة من قبل الامراء الحفصيين حتى زاد الإنتاج عن حاجة الاستهلاك المحلي علنا نجد من خلال الاطلاع على هذا الموضوع بعض الحلول التي قد نستفيد منها في عصرنا الحاضر للكيفية التي استطاعوا بها استغلال الأرض والموارد المائية المتاحة استغلالاً امثل بحيث حققوا الاكتفاء واتجهوا نحو التصدير.

وقد تناولنا الموضوع في تمهيد وعدة فقرات، تحدثنا في التمهيد عن الأوضاع الزراعية في افريقية قبل العهد الحفصي ثم سلطنا الضوء على أوضاع الزراعة في العهد الحفصي وقسمنا الفقرات حسب الأهمية فجاءت الفقرة الأولى عن الحبوب.

واخيراً وليس اخراً جاءت الخاتمة بأهم النتائج التي توصل اليها البحث مع ملحق لبعض الجداول التي وجدنا من المفيد اضافتها لزيادة التوضيح عن أماكن زراعة المحاصيل كلاً على حدة.

تمهيد

الزراعة قبل العهد الحفصي

كانت افريقية من اكثر مناطق المغرب الإسلامي اشتهاراً بالزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية من حبوب وفواكه وتمور وزهور ورياحين، بل نستطيع القول ان المغرب الإسلامي عموماً كان زراعياً وافريقية على وجه الخصوص خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أي ان سكانه كانوا يعتمدون على الزراعة اعتماداً كبيراً اكثر من غيرها من الحرف. (موسى، 1983، 129).

وإذا تتبعنا كتب الجغرافيين أمثال البكري (ت 487هـ/1094م) والإدريسي (ت 560هـ/1164م) نجد ان افريقية كانت من البلاد الكثيرة الغلات والزرع والبساتين، لكن هذه الصورة قد تغيرت كثيراً بعد دخول العرب الهلالية [1] في سنة (443هـ/1054م) فقد تقلصت الأراضي

1() العرب الهلالية: مجموعة من القبائل العربية التي دخلت افريقية والمغرب بقيادة القبائل الهلالية الرياحية لهذا حملت اسم الغزوة الهلالية او الزحف الهلالي بدعوة من الفاطميين وكنوع من العقاب للأمير الصنهاجي المعز بن باديس (406-454هـ/1016-1062م) الذي خلع طاعة الفاطميين فقرروا معاقبته بإرسال القبائل العربية التي كانت تسكن في صعيد مصر فعاثت فيه فساداً وبدخولها المغرب تخلص الفاطميين من مشكلتين في آن واحد ومن ابرز تلك القبائل (بنو هلال وبنو سليم والاثبج وهوازن ورياح ومرداس وغيرها). ابن خلدون، العبر، 12/6-15؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، 273.

الزراعية في افريقية كثيراً بعد التاريخ الأخير بسبب افساد هذه القبائل وعيثها من جهة واستيلائها على كثير من الأراضي كإقطاعات وهبات من جهة أخرى، حيث لم يبق منها الا القليل فقد سيطر العرب على اكثر الأراضي وحولوها ملكاً وإقطاعاً وتوريثاً وبيعاً وشراءً، وقد جاءت سياسة الموحدين الزراعية لتعيد الحق لنصابه إذ عملوا على نقل القبائل العربية الى المدن بعيداً عن الأراضي الزراعية السهلية [1].

وقد اولت الدولة الموحدية (541-668هـ/1146-1269م) الزراعة اهتماماً وعناية خاصة فأمر الخليفة عبد المؤمن (524-558هـ/1130-163م) اهل المغرب بالعودة الى اوطانهم وفلاحتها، وكان النظام العسكري الموحدي يقضي بمنع الجند من السير في الأراضي المزروعة ويدرأ اهل الفساد عن الزروع حتى عم الرخاء والهناء المغرب كله واتسعت الزراعة خاصة في عهد يوسف بن عبد المؤمن الموحدي (558-580هـ/1164-1187م) والمنصور الموحدي (580-595هـ/1187-1199م) ولاسيما في الأجزاء الغربية من الدولة، اما المغرب الأدنى (افريقية) فقد كانت لا تزال أراضيه تعاني الخراب والدمار حتى تذكر المصادر في ثورة سكان قفصة[2] على المنصور الموحدي انه احرق زروعها واشجارها كعقاب لها .[3]

ومن خلال ما تقدم نجد ان افريقية اهملت الزراعة فيها خلال العهد الموحدي سواء بقصد او بغير قصد فلعل كونها من اكثر الأقاليم اضطراباً الى جانب عيث القبائل العربية في أراضيها كانت سبباً في هذا الإهمال فتراجعت الزراعة وتدهورت جميع مرافق الحياة وستبقى هذه الصورة حتى يقرر الخليفة الناصر الموحدي (595-610هـ/1199-1211م) تعيين احد ابرز قادته الاكفاء وهو الشيخ أبو محمد عبد الواحد (603-618هـ/1207-1221م) (جد الحفصيين) والممهد الأول لملكهم في افريقية .[4]

الزراعة في العهد الحفصي

لقد ازدهرت الزراعة على وجه الخصوص في العهد الحفصي كونها عماد النشاط الاقتصادي ورأسه فما ان حل الشيخ أبو محمد عبد الواحد والياً على افريقية (603-618هـ/1207-1221م) حتى اخذت الأحوال في التحسن فتلك الصورة المتدهورة التي رأيناها في الفترات التي سبقت الحفصيين قد انتهت ما ان وصلوا افريقية وذلك راجع بشكل أساس الى استقرار الأوضاع السياسية وانتشار الامن واهتمام الحكام الحفصيين (باتخاذ المحارث والاتساع في المزارع) .[5]

وقد وُصف هذا الوالي الجليل بحسن التدبير "فأصلح الأحوال ورتب الاجناد واخترع زمام التضييف للوفود وكان يجلس كل يوم سبت لمسائل الناس وكان عالماً فاضلاً شجاعاً محسناً ..."[6]، وتحسنت الأوضاع في افريقية كثيراً على عهد ولده الأمير أبو زكريا الذي وصفت أيامه بكونها "خير أيام وأكثرها سعادة وادرها ارزاقا وأكثرها افراحاً نام الناس معه على مهاد العافية واكتسبوا الأموال واكثروا الغراسات" [7]، فالازدهار والرخاء قرين بالأمن والنظام فالفوضى اول ما تؤثر على الفلاح والمزارع البسيط ويعود ابن ابي الضياف ليعطينا صورة أخرى عن ازدهار الزراعة في العهد الحفصي وتحديداً في عهد السلطان أبي عبد الله محمد (أبو عصيدة) (694-709هـ/1295-1306م) حيث يصف أيامه "أيام سلم اقبل فيها الناس على الغراسة" . [8]

ولفهم التطور الذي شهدته الزراعة في العهد الحفصي حيث تحقق مفهوم التنمية المستدامة في الدولة الحفصية سنأتي على عرض اهم الغروس والزراعات التي اشتهرت في هذا العهد كل على حدة لنفهم بشكل دقيق مواطن الزراعة واهم المحاصيل الزراعية وأكثرها ديمومة.

أولاً: الحبوب

1() المراكشي، المعجب، 183؛ موسى، النشاط الاقتصادي، 189.
2() قفصة: مدينة قديمة كبيرة ازلية كان لها سور حصين من صخر جليل متوسطة بين القيروان وقابس لها عيون كثيرة تشتهر بكثرة انتاج الفستق وزراعة الزهور والرياحين كالأس والياسمين والنارنج والبنفسج وغيرها كما تشتهر بإنتاج الاردية وطيانس والعمائم من الصوف. البكري، المغرب، 48-49؛ الادريسي، نزهة المشتاق، 104.
3() ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 521/11؛ ابن خلدون، العبر، 240/6.
4() المطوي، السلطنة الحفصية، 80-86.
5() موسى، النشاط الاقتصادي، 161.
6() الزركشي، تاريخ الدولتين، 18.
7() ابن قنفذ، الفارسية، 112.
8() اتحاف اهل الزمان، 168/1.

تنتشر زراعة الحبوب في افريقية عادة في المناطق السهلية ولاسيما في بلدة الحامة (حامة مطماطة) [1] في الجنوب وفي كامل السهل الممتد من قابس [2] نحو مطماطة وبعض الحقول الأخرى المتناثرة واكثر واردات الحبوب تأتي من السهول الزراعية الشمالية ما بين قابس وقفصة والحامة [3]، وكانت السهول الزراعية في المهدية تنتج القمح بكميات كبيرة يتجمع كأمثال الجبال .[4]

ومن المدن التي اشتهرت بإنتاج القمح سكيكدة التي تقع على ساحل البحر المتوسط والتي تبعد عن مدينة قسنطينة (55,65 كم) ولكثرة انتاجها فإن الفائض عن حاجتها تتاجر به مع المدن الإيطالية ولاسيما مع جنوة [5] مقابل الحصول على الاقمشة وغيرها من منتجات اوروبا [6].

كما تزرع محاصيل الحبوب في السهول المحيطة بمدينة قسنطينة كذلك يقال عن مدينة القُل [7] والتي تقع على ساحل البحر المتوسط انها غنية بالأراضي الزراعية لكن أراضيها الزراعية تقع في اعلى الجبل حتى وصفت المدينة بالغنى فليس في العهد الحفصي مدينة اغنى منها [8]، ولعل اكثر انتاجاً للقمح بين مدن افريقية كان في مدينة بونة (عنابة) حتى بلغت مساحة الأراضي المزروعة نحو أربعين ميلاً طولاً وخمسة وعشرين ميلاً عرضاً كلها صالحة لزراعة القمح، ولعل ذلك الإنتاج الكبير يعود لسكن قبيلة مرداس العربية [9] فيها والتي تمتلك عدداً كبيراً من الغنم والبقر والثيران حيث كانوا يستخدمون الثيران لحراثة الأرض كما ان وجود الأغنام والابقار بإعداد كبيرة جعل بونة [10] تشتهر أيضاً بإنتاج الزبد الذي كان يحمل مع القمح بسفن الى جنوة، وما يصح على بونة يصح على مدينة الاربس [11] التي تعد زهرة بلاد افريقية ارضها خصبة جداً مع سهولة سقي للمزروعات جعلها تحتل مكان الصدارة الى جانب بونة في انتاج محصولي القمح والشعير، حتى انها تد المورد الرئيس لمادة القمح لمدينة تونس عليها تعتمد تونس في الحصول على القمح، ولنا هنا ان نتخيل مدى النمو الكبير الذي شهدته هذه المحاصيل خلال العصر الحفصي . [12]

كذلك تشتهر باجة بكثرة الفلاحين وباديتها واسعة كثيرة الإنتاج الى درجة ان سكانها لا يستطيعون زراعة الأراضي بالكامل نظراً لسعتها مما يضطرهم احياناً لطلب الايدي العاملة من الاعراب ممن حول المدينة لزراعة جزء كبير منها ورغم ذلك تبقى أجزاء واسعة دون زراعة حتى يقال ان ما يباع من الحبوب سنوياً فيها يبلغ (330,00 كغم) [13]، وتوجد مقولة مشهورة لدى اهل تونس (لو كانت باجتان لفاق عدد حبات القمح عدد حبات الرمل) .[14]

كذلك مما يعكس اهتمام الحفصيين بجودة وغزارة انتاج الحبوب إقامتهم لعين زميت [15] وهو موضع يقع غربي تونس في المسافة الفاصلة بينها وبين باجة يبعد عن باجة نحو ثلاثين ميل بناها الحفصيون لاستغلال أراضيها بالزراعة كونها خصبة جداً .[16]

كذلك نجد ان بعض المدن اشتهرت بإنتاج الشعير كمدينة بجاية التي لا تصلح أراضيها الا لإنتاجه ولاسيما في موضع يعرف بقصر جيجل .[17]

1() الحامة: تعتبر جزء من بلاد قسطيلية وتسمى ايضاً بحامة مطماطة سميت بذلك لوجود عين ماء ساحن بها لها ارباض واسعة يسكنها الناس وهي كثيرة التمر والزيتون وجميع الفواكه واكثر مدن افريقية وهي اكثر مدن افريقية عنباً. مجهول، الاستبصار، 157.

2() قابس: مدينة من مدن افريقية تقع الى الجنوب من مدينة تونس وهي جزء من بلاد الجريد تشتهر بزراعة الموز وإنتاج الحرير بينها وبين البحر نحو ثلاثة اميال وبينها وبين طرابلس ثمانية أيام فهي مدينة بحرية صحراوية والصحراء قريبة منها حتى يقال ما اجتمع في مائدة رجل قط ثلاثة أشياء متضادة الا في مائدة من يسكن قابس. البكري، المغرب، 22؛ الحموي، معجم البلدان، 212/4.

3() المرزوقي، قابس جنة الدنيا، 87.

4() ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، 214.

5() جنوة: احدى المدن الإيطالية المطلة على البحر المتوسط تقع الى الغرب من مدينة البندقية الشهيرة اغلب أهلها يعملون بالتجارة ولاسيما مع تونس وبقية المدن المطلة على البحر المتوسط. أبو الفداء، تقويم البلدان، 309؛ الادريسي، نزهة المشتاق، 749/2؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، 53/3.

6() الوزان، وصف افريقية، 55/2.

7() القُل: مدينة من مدن افريقية بينها وبين مدينة قسنطينة مرحلتان وبينها وبين مدينة جيجل نحو سبعون ميلاً صغيرة لكنها عامرة بشتى العمارات تشتهر بكثرة البساتين ولاسيما الفواكه وعلى رأسها العنب والتفاح. البكري، المغرب، 83؛ الادريسي، نزهة المشتاق 102-103؛ الحميري ، الروض المعطار، 466.

8() الوزان، وصف افريقية، 54/2.

9() مرداس: من أشهر بطون قبيلة رياح العربية الهلالية تفرعت لعدة فروع منها داؤود بن مرداس وعقيد بن مرداس وكانت لهم الرئاسة على جميع بطون رياح انتشروا في كثير من مدن افريقية ومنها مدينة قسنطينة واشتهرت هذه القبيلة بغناها وثروتها الحيوانية الكبيرة. ابن خلدون، العبر، 32/6.

10() بونة: او عنابة مدينة من مدن افريقية تعرف ايضاً ببلد العناب نظراً لكثرة انتاجها للكروم (العنب) وهي مدينة متوسطة خصيبة كثيرة الزرع والفواكه وتقع على ساحل البحر المتوسط ذات بساتين كثيرة وأسواق مشهورة تبعد عن تونس 36كم. البكري، المغرب، 54؛ مجهول، الاستبصار، .

11() الاربس: مدينة من مدن افريقية تبعد عن تونس العاصمة نحو 190ميل من بناء الأول ولها قناة مياه حجارتها ناصعة البياض كأنها الفضة وتستخدم هذا الماء لتحريك طواحين القمح وهو ماء صالح للشرب ينبع من ربة تبعد عن الاربس نحو ميل ونصف. الوزان، وصف افريقية، 65/2.

12() الوزان، وصف افريقية، 65/2.

13() الكيل: او الكيلة وهو وعاء يكال به الحبوب واصله من المكاييل المصرية ويقدر الكيل الواحد بثمانية اقداح ومقدار حجم الكيلة 16.5 لتر. جمعة، المكاييل والاوزان الشرعية، 35.

14() الوزان، وصف افريقية، 66/2.

15() الزركشي، تاريخ الدولتين، 144.

16() الوزان، وصف افريقية، 59/2.

17() الوزان، وصف افريقية، 59/2.

ولعل ازدهار زراعة الحبوب في العهد الحفصي بلغت ذروتها لدرجة كثرت فيها الحاجة الى وجود المطاحن لطحن الحبوب فهذا ابن الشماع يصف حال تونس في عهد السلطان أبو بكر الحفصي (711-747هـ/1311-1346م) بقوله "وكانت تونس قد ازدهرت في مدة المولى ابي بكر بأهلها وبلغ من قوتها ان كان بها ... ما يزيد عن مائة وعشرين طاحونة يطحن بها أربعة الاف قفيز [1] قمحاً كل يوم الف تبل والف تطحن والف تغربل والف تصنع" .[2]

وافضل دليل على ازدهار زراعة الحبوب في افريقية الحفصية الى جانب ما تقدم ان الامراء الحفصيين كانوا يرسلون الصدقات والاعانات لأهل الاندلس وعلى رأس تلك الإعانات من القمح والشعير، ومنها على سبيل المثال لا الحصر اعتاد السلطان أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ/1394-1433م) ارسال الف قفيز من الحنطة الى الاندلس يرسلها في اسطول كل سنة دون غيرها من الإعانات [3] وهي تعادل الاف الاطنان بحسابنا اليوم.

ثانياً : البساتين (الجنات)

لقد أنشأ الامراء الحفصيون قصوراً مشتملة على بساتين جنات بلهجة اهل المغرب اتخذوها للنزهة والراحة والخلوة اشهرها قصر باردو ورأس الطابية وقصر ابي فهر وغيرها، لقد كانت القصور الملكية الحفصية توفر للناظرين مشهداً زاهياً بسبب وجود الحدائق والبساتين الغناء التي يقال ان للمهاجرين الاندلسيين اليد الطولى في تنوع زراعاتها واتقانها وترتيبها المحكم الملائم للذوق السليم وقد كانت هذه البساتين مجاورة للقصور الملكية السلطانية، حيث كان السلطان وأعضاء حاشيته يلجؤون اليها للراحة من صخب العاصمة تونس .[4]

وسنأتي على ذكر تلك القصور منفردة كل على حدة.

1) قصر رأس الطابية

ويعد هذا البستان من اقدم المنشآت السلطانية بأفريقية قام بإنشائه الأمير الموحدي السيد أبو زيد سنة (1225م) قريب من باب ابي سعدون (احد أبواب تونس)، ورغم كونه أنشئ قبل العهد الحفصي الإ ان المستنصر الحفصي قام بربط هذا البستان بقصوره بواسطة ممر محاط بسور حتى يتمكن نساء الحريم من التحول من القصر الى بستان رأس الطابية بكل حرية دون ان يراهن احد [5]، ويذكر ابن الشماع ان بناء هذا الممر كان في سنة (651هـ/1254م) وهو من اقرب البساتين للعاصمة تونس [6]، ويصف ابن خلدون ذلك الممر بدقة حتى قدر عرضه نحو عشرة اذرع وارتفاع الحائط عشرة اذرع .[7]

ولم يكتفِ الحفصيون بذلك بل طوروا من هذا البستان كثيراً واعتنوا به فأخذ يشتمل الى جانب البساتين الغناء على أربعة اقسام ذات ثلاثة طوابق في شكل متقاطع ومساحات داخلية مبلطة ومزدانة بعدد من النافورات (الفوارات) [8]، وقد بقي هذا البستان يتربع على عرش البساتين الحفصية طوال العصر الحفصي فكثيراً ما تم به استعراض للجيوش وبيعة للأمراء فيه كما حدث عند بيعة السلطان أبو يحيى زكريا ابن اللحياني (711-717هـ/1311-1317م) الذي ما ان تمت له البيعة حتى دخل لقصر رأس الطابية واستعرض الجيش .[9]

2) بستان ابي فهر

بستان شهير من بساتين الحفصيين يبعد عن تونس ثلاثة اميال أشاد ابن خلدون بأبهته واجنحته ذات الممر والخشب المزخرف وحوضه الضخم الذي أنشئ لتتنزه به نساء القصر بالزوارق وهو من اضخم إنجازات المستنصر الحفصي بقوله "يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات اغترس فيها من شجرة كل فاكهة من اغصان التين والزيتون والرمان والنخيل والاعناب وسائر الفواكه واصناف الشجر ونضد

1() القفيز: من المكاييل المستخدمة في قياس الحبوب والتي تفاوت الناس في تقديرها لإختلاف الاصطلاح فيها، فعند المالكية تعادل 92كغم تقريباً وعند الشافعية تعادل 24.48كغم والتقدير الأخير هو اقرب للإجماع. جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، 39-40.

2() ابن الشماع، الأدلة البينية، 91؛ ابن ابي دينار، المؤنس، 135؛ عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، 119.

3() ابن ابي الضياف، اتحاف، 182/1.

4() برونشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، 387/2.

5() برونشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، 387/2.

6() الأدلة البينية، 66.

7() والذراع بسط اليد ومدها واصله من الذراع وهو الساعد وهو ما بين طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى ويقدر عند الحنفية بنحو 46.375سم وعند المالكية 53سم اما عند الشافعية والحنابلة 61.834سم. جمعة، المكاييل والاوزان الشرعية، 50.
فإذا قدرنا الذراع بنحو 50سم وهو الطول المتوسط لدى الجمهور فيكون عرض الممر بذلك وطول الحائط 500سم أي خمسة امتار وهو ارتفاع يحقق الحماية والتستر لنساء القصر من اعين الناظرين.

8() ابن خلدون، العبر، 282/6.

9() ابن الشماع، الادلبية البينية، 85.

كل صنف فيها في دوحة حتى لقد اغترس من السرو والشجر البري وسما دوح هذا بالشعراء واتخذ وسط البساتين الرياضات بالمصانع والجرار وشجر النور والنزهة من الليم والنارنج والسدر وشجر الياسمين والخيري والنيل اوفر وامثاله ..." .[1]

ومن النص أعلاه نجد ان الحفصيين لم يهتموا بإنشاء بساتين للنزهة فقط وإنما كانوا حريصين على زراعة كل صنف من أصناف الفاكهة التي نعرض جيداً انها أشجار موسمية ليس دائمة الخضرة طوال العام، وحرصاً منهم على ديمومة اخضرار بساتينهم فقد الحقوا بها أشجار معمرة دائمة الخضرة، الى جانب كونها توفر ضلالاً دائمة وتلطف الجو وتحوي اعشاشاً لشتى أنواع الطيور فتضفي جمالاً وسحراً على تلك البساتين منها أشجار السرو والطالح، ولم ينس المستنصر اثر الزهور والرياحين في النفس وإدخال البهجة الى الأرواح بألوانها الزاهية وجمالها الاخاذ كالياسمين والورد الجوري [2]، ومن الجدير بالذكر ان هذا البستان قد بدأ العمل به سنة (648هـ/1250م) .[3]

3) بستان باردو

بستان او سانية باردو بلهجة اهل تونس مصطلحان يشيران الى نفس المكان وهو قصر من قصور الحفصيين في تونس ويقصد به الحديقة او البستان التي الحقت بأحد قصور الحفصيين في الجزء الجنوبي منه فكلمة سانية تعني المزرعة او الحديقة بشكل عام [4]، ومهما يكن فإن هذا البستان قد أدى دوراً مفصلياً ولاسيما في نهايات الدولة الحفصية عندما اصبح من اكثر القصور والبساتين اماناً وخاصة في أوقات الازمات ووقوع الآفات والاوبئة الفتاكة، منها انه أصاب تونس سنة (872هـ/1467م) طاعون جارف قتل في اليوم الواحد أربعة عشر الفاً [5] فاضطر السلطان أبو عمر عثمان الى الاعتزال عن الناس في هذا البستان قرابة سنة وثلاثة اشهر [6] فأصبح بمثابة منتجع صحي فقد لجأ اليه قبل ذلك السلطان أبو عبد الله محمد أيضاً حينما أصابه المرض وتوفي سنة (839هـ/1435م) . [7]

والى جانب تلك البساتين المشهورة فقد ذكرت المصادر بساتين أخرى منها بستان أقيم بالقرب من رباط المنستير [8] والذي ذكره الزركشي برياض المنستير .[9]

وفي أوائل القرن الرابع عشر إشارت المصادر الى المتنزه الملكي المعروف بـ(روض السناجرة) الذي أنشئ بالقرب من تونس ايضاً .[10]

والى جانب ذلك شهد العصر الحفصي الأخير ورغم كونه عصر ضعف للدولة وتراجع الإ ان الامراء الحفصيين حرصوا على إقامة البساتين ومنها بستان عرف (العبدلية) الذي سمي بهذا الاسم نسبة الى مؤسسه السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي (895-932هـ/1493-1526م).[11]

وكانت المياه تجلب لتلك البساتين من نهر ينبع من جبل زغوان الذي يبعد عن تونس مسيرة يوم ويدخل فرع منه لتونس وليس لأهلها شرب الإ من هذا النهر .[12]

والحقيقة ان إنشاء البساتين والجنات لم يقتصر خلال هذا العهد على الامراء الحفصيين فقط بل تعدى ذلك الى غيرهم من امراء المدن، فقد تحدث لنا التجاني عن جمال روضة ابن يملول [13] حاكم توزر والتي قد أقامها وسط الغابة وليس في ضواحيها كالعادة المتبعة في إنشاء البساتين .[14]

1() العبر، 282/6. وينظر: المطوي، السلطنة الحفصية، 220-221.
2() المطوي، السلطنة الحفصية، 221.
3() ابن قنفذ، الفارسية، 117؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، 33.
4() زهير بن يوسف، قصر باردو المعمار والادوار، 2024.
5() الباجي المسعودي، الخلاصة النقية، 83.
6() الخلاصة النقية، 83.
7() السراج، الحلل السندسية، 110؛ المسعودي، الخلاصة، 81.
8() المنستير: وهو من اشهر واقدم الربط في افريقية اسسه والي المغرب هرثمة ابن اعين سنة (180هـ/696م) لصد غارات الروم البحرية على سواحل افريقية والمنستير كلمة ذات اصل اسباني تعني الدير وقد استخدمها العبر كثيراً. زبيس، الاثار الإسلامية، 56.
9() تاريخ الدولتين، 83.
10() برونشفيك، تاريخ افريقية، 387/2.
11() الباجي المسعودي، الخلاصة النقية، 190.
12() العبدري، الرحلة، 180؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الامصار، 67/4.
13() بنو يملول: اسرة لمع ذكرها في مدينة توزر (قاعدة بلاد الجريد) منذ عهد الأمير أبو زكريا فأخذت تسيطر شيئاً فشيئاً على الأمور في توزر حتى كانت لهم رئاستها ويذكرون ان نسبهم من طوالع العرب من تنوخ جدهم احمد بن يملول استقر في المدينة وكثر عقبه وبرز منهم في مطلع القرن الثامن الهجري يحيى بن محمد بن احمد بن محمد بن يملول الذي تزعم بلاد الجريد قاطبة وهو صاحب البستان المذكور، تأرجحت علاقته بالدولة الحفصية بين الطاعة والخضوع تارة والاستقلال شبه التام ثم الاستقلال التام تبعاً للأوضاع السياسية للدولة الحفصية. ابن خلدون، العبر، 412/6-413؛ التجاني، الرحلة، 163-164.
14() الرحلة، 163.

ثالثاً: اهم الأشجار

تعد أشجار الزيتون سيدة شجر المغرب الإسلامي جميعاً حيث تنتشر زراعتها في جميع ارجائه دون استثناء مع اختلافات بسيطة في كثافة زراعته بين جهة وأخرى، وتحتل افريقية مكان الصدارة في زراعة الزيتون وغزارة الإنتاج وجودة الزيت، وشجرة الزيتون من الأشجار المباركة التي اقسم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، قال تعالى: ((وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)) [1] ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) [2]

تزرع أشجار الزيتون بأفريقية عادة بخطوط مستقيمة مع مراعاة المسافة بين الأشجار وهذا النموذج كان مستخدماً باعتباره الأفضل في الزراعة، وقد وصف لنا التجاني تلك الصفوف المتناسقة في وصفه لبساتين زيتون الساحل ويذكر انه سمي بذلك لأنه قريب من الساحل ويصفه بقوله "وانتهى بنا السير في غابته المتصلة" [3]، ولعل غنى افريقية بأشجار الزيتون انعكس في تشبيه التونسيون للزيتون (بالنعمة) لكثرة استخداماته في الطعام منفرداً او كزيت كما يستخدم زيت الزيتون كعلاج وللإضاءة الى جانب استخدامه في صناعة الصابون .[4]

كذلك من المدن التي تشتهر بإنتاج الزيتون مدينة قابس فقد ذكر الادريسي انه يوجد بغابة قابس "زيتون كثير يستخرج منه زيت كثير يتجهز به الى سائر النواحي" [5]، في مساحة تغطي الأراضي بين قابس وجبال مطماطة وما بين هذه الجبال والبحر شرقاً الى درجة انها كانت تصدر الفائض الى الخارج .[6]

ويؤيد ذلك ما ذكره التجاني من ان منزل تبلبو به غابة زيتون متسقة وذكر عامة شجرها الزيتون [7]، ولعل انتاج الزيتون الكبير في افريقية يتضح من خلال رواية ذكرها التجاني من ان القائد ابن ابي سرح [8] (ت. 57هـ/666م) لما فتح افريقية وجد اكثر أموالهم الذهب والفضة فسألهم عن اصل هذه الأموال "فجعل احدهم يلتمس شيئاً في الأرض حتى اتاه بنواة زيتون من هذا اصبنا هذه الأموال" .[9]

ولشجرة الزيتون فوائد كثيرة النفع فهي شجرة تصبر على الماء طويلاً دائمة الخضرة لا دخان لخشبها ودهنها اذا أحرقت، ولزيت الزيتون فوائد جمة منها انه يعالج الصداع حيث يستخدم كدهن ويخفف العرق ويقلل تساقط الشعر ويزيل القشرة من الشعر ويعالج القروح الرطبة والجرب القرحي ويمنع الشيب اذا دهن به كل يوم وغيرها الكثير .[10]

والشجرة الأخرى المهمة والاعلى قيمة بعد الزيتون هي النخلة، قال تعالى: ((وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ)) [11] فهو من اقدم الأشجار زراعة الى جانب الزيتون حتى لقد حمل احد أقاليم افريقية اسم بلاد الجريد لسعة انتاجه من التمور وهي مدن كثيرة وبلاد واسعة كثيرة الخصب والتمر والزيتون والفواكه وجميع الخيرات وهي اخر بلاد افريقية من جهة الصحراء منها مطماطة وقفصة وقابس وغيرها [12]، وقد غرس السكان انواعاً من التمر منها ما يباع او يؤكل بسرا أي قبل نضجه كالنوع المعروف باللمس (اللمسي) وهو الاكثر ومنه ما يؤكل ويدخر تمرا كالعقيوة (العجوة) ومنها ما يأكل بسرا ويدخر تمرا كالنوع المعروف بو حطم ومنها أنواع من الرطب ونوع اخر بالدقلة [13] واشتهرت مدينة قابس بإنتاج أنواع جدية من التمور فهذا الادريسي يصف نخلها بقوله "وبها نخل ملتف به من الرطب الذي لا يعادل له شيء في نهاية الطيب ..." [14]، ويذكر التجاني ان موائد اهل قابس عامرة بأصناف التمر، ويذكر المرزوقي ان غابة قابس تحوي اليوم على نحو عشرة الاف شجرة .[15]

---

(1) سورة التين، الآية: 1.
(2) سورة النور، الآية: 35.
3() الرحلة، 66.
4() المرزوقي، قابس جنة الدنيا، 14.
5() نزهة المشتاق، 106.
6() المرزوقي، قابس جنة الدنيا، 14.
7() الرحلة، 179.
8() احد ابرز قادة فتح المغرب العربي عينه الخليفة عثمان ابن عفان والياً على مصر سنة (25ه/645م) وقائداً لفتوح المغرب فقاد حملة مؤلفة من عشرين الف مقاتل سنة (27هـ/647م) لتحرير مدينة سبيطلة عاصمة الروم البيزنطية في المغرب فحقق انتصاراً كبيراً على الروم وعرفت هذه الحملة بحملة العبادلة لإشتراك العديد من الصحابة وابنائهم فيها ممن يحملون اسم عبد الله، كذلك انتصر على الروم في معركة ذات الصواري البحرية سنة (34هـ/654م). ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، 246-247؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 14/1؛ ابن خلدون، العبر، 106/6-107.
9() الرحلة، 57.
10() ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 200/2.
(11) سورة ق، الآية: 10.
12() البكري، المغرب، 48؛ الادريسي، نزهة المشتاق، 104؛ مجهول، الاستبصار، 150.
13() المرزوقي، قابس جنة الدنيا، 13.
14() نزهة المشتاق، 105.
15() قابس جنة الدنيا، 14.

كذلك من أشجار افريقية المشهورة شجرة التوت الذي يتغذى على أوراقه افضل الحشرات (دودة القز) لتعطي حريراً بديعاً اشتهرت افريقية بإنتاجه بكثرة مما يعكس كثرة زراعة أشجار التوت لهذا الغرض وقد تحدث الرحالة عنه، ومن اشهر مدن افريقية في زراعة التوت وإنتاج الحرير هي مدينة قابس فهذا البكري يقول "وبها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يقوم من خمسة شجيرات من غيرها، وحريرها اطيب الحرير وارقه وليس في عمل افريقية حرير الإ في قابس" [1]، واكد الادريسي في القرن السادس على ذلك بقوله "ويعمل بها الحرير الحسن ... وبها من ناحية البحر سوق وباعة وحريريون كثيرون"[2]، وهو من المنتجات التي حققت بالفعل تنمية مستدامة لأفريقية عموماً ولقابس بشكل خاص وكانت هذه الشجرة تزرع بشكل غابات متناسقة مصطفة تغطي مساحة تقدر بأميال عدة [3]، وكذا الحال بغيرها من الأشجار فإلى جانب الزيتون والتمر والتوت زرعت أنواع أخرى من الأشجار كالموز الذي كان يغرس الى جانب النخيل والأشجار المثمرة الأخرى، ولكن موز افريقية يمتاز بصغر حجمه واعتدال حلاوته وكان يجنى قبل النضج ويحفظه التجار في أماكن دافئة نظيفة حتى يصفر لونه ويصبح جاهزاً للبيع .[4]

اما عن بقية أنواع الأشجار ولاسيما الفواكه فقد تنوعت محاصيل افريقية خلال العهد الحفصي مختلف أصناف الفاكهة اللذيذة كالعنب والرمان بأنواعه الحلو والمر والحامض والسفرجل والتفاح والكمثرى والليمون والمشمش والنارنج واليم واشجار الجوز واللوز في حين تخلو من البندق والفستق، ومن الفواكه الغريبة الأخرى التي ذكرها ابن فضل الله العمري فاكهة تسمى (مصغ) وهي اقل حجماً من ثمرة الجوز الصغيرة والمقشرة واكبر من حبة البندق تنضج في أوقات الشتاء طعمها ما بين الحموضة والقبض شبيه بطعم السفرجل ولونها ما بين الحمرة والصفرة شأنها شأن الموز تقطف الثمار قبل نضجها بقليل ثم تحفظ حتى تنضج تماماً ثم تؤكل .[5]

والى جانب ما ذكرناه من أشجار لا ننسى الحديث عن الخضراوات فلها نصيب لا بأس به من الزراعة في افريقية فهي من المحاصيل المهمة في المائدة اليومية منها الخيار والقثاء واللوبياء واللفت والباذنجان والقرنبيط والبقلة والخس والرجلة والهندباء وسائر البقول والملوخية والهليون وغيرها .[6]

وقد ازدهرت افريقية خلال العصر الحفصي بشتى أنواع الازهار والرياحين والاس والورد ومعظمه ابيض اللون والياسمين الذي كان ينتشر بكثرة في جلولاء [7] التي اشتهرت بطيب عسلها بسبب جودة ياسمينها وكثرته [8]، وكذلك انتشرت ازهار النرجس والنيلوفر الأصفر والترنجان والمنشور والمرز والبنفسج والسوسن والزعفران والحبق والنمام وغيرها .[9]

رابعاً: النباتات الغريبة

يتحدث التجاني في رحلته عن شجر العشر وهو شجر قائم الساق شديد الخضرة يضرب الى السواد وله أوراق عظيمة ونور مشرق حسن المظهر وثمره اخضر كالأترج تملئ الواحدة يد حاملها وهي مملوئة بشيء يشبه القطن تسميه العرب الخرفع ربما حشيت منه الوسائد والمرافق بل لقد كانوا يصنعون منه الثياب، والغريب في هذا النبات أيضاً انه من النباتات التي لا تأكلها الحيوانات ومن فوائد شجر العشر هذا انه يستخرج منه نوع من الصمغ حلو الطعم كريه الرائحة يقال له (سكر العشر) [10]، وتستخدم ثمار العشر في الدباغة حيث تنقع فيه الجلود ويتم تنظيفها من الشعر والوبر ثم يدبغ الجلد كما ان له استخدامات طبية فهو يستعمل كمادة مسهلة في حالات الإمساك الشديد [11]، وينبت العشر عادة في القيعان وبطون الاودية وتنفرد بلاد افريقية وتحديداً نواحي طرابلس الجهة الشرقية منها بظهوره وليس في أي من بلاد المسلمين الإ ما ندر .[12]

كذلك من النبتات التي نمت في افريقية ولاسيما في مدينة قابس بكثرة شجرة الدفلة وهي من النباتات ذات السمية اذا ما خلط بماء حتى ان اهل قابس اشتهروا دون غيرهم من سكان افريقية بصفار الوجوه ويعزون ذلك الى جريان الماء فوق شجر الدفلة فيكسب منه سمية ومرارة

1() المغرب، 17-47.
2() نزهة المشتاق، 160.
3() المرزوقي، قابس جنة الدنيا، 11.
4() المرزوقي، قابس جنة الدنيا، 16.
5() مسالك الابصار، 4/64-65.
6() ابن فضل الله العمري، 4/65.
7() جلولاء: مدينة قديمة ازلية من مدن افريقية لها حصن قريبة من المهدية كثيرة البساتين والأشجار غزيرة الفواكه والثمار والازهار واكثر فواكه القيروان تجلب اليها من جلولاء. البكري، المغرب، 31؛ الادريسي، نزهة المشتاق، 120.
8() مجهول، الاستبصار، 119.
9() ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 4/65.
10() الرحلة، 312-314.
11() ابن فضل الله العمري، مسالك الامصار، 20/205.
12() التجاني، الرحلة، 314.

تضر ابدانهم [1]، كذلك ينبت فيها غابات من الاثل والطرفاء وهما من النباتات البرية الطبيعية التي تتلاءم مع مناخ بعض مدن افريقية فشجرة الطرفاء لها فوائد كبيرة فهي إذا نقعت بالخل تفيد الطحال وعصير اوراقها يستخدم في معالجة وجع الاسنان كذلك تفيد في معالجة القمل شأنها شأن الدفلة كما انها تجفف القروح الرطبة والجدري أي انها تعمل كمادة كاوية ورماد بذورها يستخدم علاجا لحروق النار ويقوي اللثة وينفع بأمراض العين وغيرها .[2]

كذلك تنمو في افريقية الحشائش الطويلة التي يسميها الجغرافيون بالشَعراء وهي تشابه اليوم لمفهومنا الجغرافي الحديث (إقليم السفانا) او البراري التي تفصل بين المدن وقد تحدث التجاني عن هذه الشَعراء كثيراً وذكرها في رحلته فوصف لنا احد القصور الذي كان يسمى بقصر المدفون[3] فهو برغم ضخامته الإ انه يبدو كالمدفون وسط الشَعراء العالية التي حفت به من جميع الجهات فكأنه مدفون هناك .[4]

كما اشتهرت بعض المناطق بإنتاج القصب ومن المعلوم للجميع ان القصب من النباتات التي لا تنمو الإ وسط المياه الغزيرة الجارية وهو ما توفر في عين تامدنت حيث يصفه التجاني بأنه تحول لغزارة نموه لما يشبه الغابات المتشابكة .[5]

كما يعد حب العزيز او حب الزلم او لوز الأرض من النباتات الغريبة التي انفردت بها افريقية دون غيرها من أقاليم المغرب الإسلامي وسمي بهذا الاسم لأن احد ملوك مصر كان مولعاً بأكله وهو شجرة تشبه في شكلها شجرة الرمان أوراقه بيضاء اللون والاغصان طويلة يميل لونها الى اللون الأحمر والشجرة تحمل ثماراً مستديرة في حجم الحمص الكبير ثمر لين الملمس فيه لزوجة وطعمه حلو .[6]

كذلك من الأشجار الغريبة الأخرى شجرة الطلح وهي شجرة شائكة لها اوارق كأوراق العرعر وتنتج صمغاً يسمى (المصطكي) يستعمله صناع الادوية في افريقية إذ ان له نفس اللون والرائحة كما تستخدم اخشاب هذه الأشجار في صناعة بعض الأشياء الثمينة والجميلة .[7]

خامساً: طرق السقي للمزروعات

يذكر الحسن الوزان وهو من الجغرافيين الذين زاروا البلاد الحفصية في رحلته واطلعوا عليها فوصفها لنا وصفاً دقيقاً منها ما يخص الزراعة وطرق السقي والكيفية التي يتم بها زراعة الأرض حيث يقول "ان الناس في الفلاحة كانت تعتمد على قواعد غاية في الدقة يعتمدون فيها على معرفتهم بالفلك وتقلب الفصول الموسمية ومصدر معلوماتهم الزراعية إنما يتأتى من كتاب كنز الفلاحة وهو كتاب ذو اصل لاتيني ترجم في مدينة قرطبة الى العربية" [8] في أيام الحاجب المنصور بن ابي عامر (ت. 392هـ/1002م) [9]، ويعالج هذا الكتاب جميع المسائل الضرورية للزراعة كالفصول وطرق الزرع والغرس وتلقيح الأشجار وتغير كل ثمر او حب بواسطة الزراعة[10] ، أما عن طرق السقي التي اعتمدها المزارعون والفلاحون في افريقية خلال هذا العهد فقد تنوعت بحسب المحصول المزروع أولاً وبحسب المكان المزروع ثانياً وقرب وبعد المياه، فبعضها تعتمد على مياه العيون العذبة في سقي المحاصيل كما يفعل اهل قفصة فهم يسقون محاصيلهم من عين ماء خرارة في داخل المدينة يعتمدون على مياهها في شتى شؤونهم ومنها السقي .[11]

وكذلك الحال بعين ماء مدينة طرة التي يعتمد عليها اهل بلاد نفزاوة قاطبة في الشرب والسقي لكثرة مائها الذي يتجمع بما يشبه البركة المتسعة يشرب منها اهل المدينة ويسقون مزارعهم وحيواناتهم [12]، أما مدينة قابس التي اشتهرت بكثرة محاصيلها الزراعية فقد اعتمدت في سقي مزروعاتها على وادي تسقى منه البساتين والارباض ينبع من عين ماء في جبل قبل المدينة ويصب هذا الوادي في البحر المتوسط .[13]

1() التجاني، الرحلة، 89.
2() ابن فضل الله العمري، مسالك الامصار، 204/20.
3() قصر المدفون: هو احد المواقع القريبة من جزيرة شريك قرب ساحل افريقية ينسب بنائه الى عبد الله ابن الاغلب (197-201هـ/812-817م). ابن ابي الضياف ، اتحاف، 105/1.
4() التجاني، رحلة التجاني، 24.
5() رحلة التجاني، 324.
6() ينظر: .https://ar.wikipedia.org
7() الوزان، وصف افريقية، 283/2.
8() وصف افريقية، 80/1.
9() الحاجب المنصور: هو محمد بن عبد الله بن ابي عامر المعافري اليمني تدرج بالمناصب الإدارية في قرطبة من كاتب للعرائض في باب قصر الخليفة الاموي ثم وكيلاً ثم اميناً ثم قاضياً للقضاة ثما ناظراً على الحشم ثم حاجباً للخليفة المستنصر الاموي (350-366هـ/961-976م) وقد تمتع ابن ابي عامر بالمهوبة والذكاء الفائق حتى اصبح رجل الدولة الأول واسس ما يعرف في التاريخ الاندلسي بالدولة العامرية (366-399هـ/976-1009م) التي كانت بمثابة دولة داخل الدولة الاموية في الاندلس. ابن عذاري، البيان المغرب، 257/2؛ ابن خلدون، العبر، 147/4.
10() الوزان، وصف افريقية، 80/1.
11() ابن فضل الله العمري مسالك الابصار، 464/1.
12() التجاني، الرحلة ، 14 .
13() المرزوقي، قابس جنة الدنيا، 50.

وكذلك الحال في مدينة صفاقس التي يكون شرب أهلها من مأجل [1] وكذلك الحال في مدينة القيروان التي كانت تعتمد على المآجل لشرب السكان وسقي المزروعات اشهرها المأجل الكبير الذي أنشئ في عهد الاغالبة ويقع قرب باب تونس (احد ابوب القيروان) وهو مأجل كبير في وسط صومعة مثمنة .[2]

كانت المهدية تعتمد على مياه الامطار التي تجمع في مآجل لتستخدم عند الحاجة بلغت اعدادها نحو ثلاثمائة وستين مأجل [3]، وفي مدينة قرطاجنة كان الاعتماد في السقي والشرب على نواعير وسواقي اقاموها على مياه جارية تأتيهم من خارج المدينة وكذلك الحال في مدينة بونة (عنابة) التي كانت تسقى مزروعاتها بمياه جارية .[4]

سادساً: دور الزراعة في ازدهار التجارة الخارجية

بسبب الموقع الاستراتيجي التي تميزت به افريقية ومدنها كونها تشغل الساحل الشرقي للشمال الافريقي فقد حرصت القوى الخارجية وعلى رأسها المدن الإيطالية الثلاث جنوة وبيزة[5] والبندقية [6] على عقد المعاهدات التجارية مع افريقية واقدم تلك المعاهدات تمت في (1157م) عندما عقد حاكم تونس عبد الله بن خراسان [7] معاهدة مع مدينة بيزة حيث استفادت مدن افريقية من هذه المعاهدة، كما عقدت معاهدة أخرى مع تجار مدينة جنوة الذين كانوا يتنافسون على بضائع سوق مدينة بجاية مع اهل بيزة .[8]

وقد تطورت العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الايطالية بدءا من عهد الأمير أبو زكريا، حيث ابرمت معاهدات مع كل من البندقية (1241م) ومع بيزة (1234م) ومع جنوة (1236م) وقد تضمنت تلك المعاهدات عدة بنود من أهمها :

ضمان الامن المتبادل للملاحة لكلا الطرفين.

ضمان عدم متاجرة رعايا تلك المدن مع أي من المراكز داخل الدولة الحفصية غير التي ذكرت في المعاهدة.

تحديد مدة المعاهدة بأربعة وثلاثين سنة فقط قابلة للتجديد بناءً على رغبة الحفصيين.

ضمان عدم تشجيع القراصنة ومعاقبتهم في حالة اضرارهم بأي من المواطنين المسلمين في البحر ولهم في المقابل حق واحد وهو ان يتم توريد مادة القمح اليهم من افريقية بدون رسوم خلال سنوات الجد بحيث لا يفوق سعر القفيز الواحد في البلد الأصلي ثلاثة دنانير ونصف، وهذا يعني انه في حالة زيادة ثمن القفيز الواحد من القمح عن ثلاثة دنانير ونصف يُأخذ عليه ضريبة من تجار تلك المدن.

تحديد كمية القمح المتاجر بها بحمولة خمس سفن فقط.

لا يسمح لهم بالإقامة في خارج المناطق المتفق عليها التي كانت تحوي مناطق لإقامتهم ضمن مدة محددة تكفي للمتاجرة بالبضائع فقط مع المدن الساحلية (بجاية، عنابة، المهدية، صفاقس، قابس، طرابلس) دون التوغل في الداخل الحفصي .[9]

ومن خلال الشروط الواردة في تلك المعاهدات نجد ان الجانب الأقوى هم الحفصيون فقد املوا شروطهم على تجار تلك المدن التي عقدوا معها المعاهدات، فقد كان القمح يورد للجنويين من مدن افريقية ويحصلون مقابله على الاقمشة وغيرها من منتجات أوروبا [10]، والواقع ان التجارة قد استمرت مع تلك المدن وغيرها بصورة مزدهرة ومثمرة وكانت الحركة التجارية في كل من تونس وبجاية اشد كثافة من غيرها ومن البضائع التي يبادلها التجار بالقمح بضائع عديدة فهنالك وثيقتان مؤرختان تعودان لسنة (1298م) احدهما لسفينة وصلت تونس محملة

1() البكري، المغرب، 208؛ الادريسي، نزهة المشتاق، 284؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 465/1.
(*) المأجل او الصهاريج او الخزانات: وهي عبارة عن محل لخزن المياه لأغراض السقي والشرب وقد انتشرت في المغرب الإسلامي ولاسيما في عهد الولاة وما تبعهم من عصور وتطور استخدامها في عهد الاغالبة (180-296هـ/). احمد ، من الاصطلاحات التاريخية والحضارية الاندلسية والمغربية في العصور الوسطى، 171.
2() مجهول، الاستبصار، 115.
3() البكري، المغرب، 29؛ مجهول، الاستبصار، 117.
4() مجهول، الاستبصار، 126-127.
5() بيزة: من المدن الإيطالية التي تقع الى الشرق من مدينة جنوا على ساحل البحر المتوسط قبالة افريقية ومقابل لجزيرة سردينيا يعمل اكثر أهلها بالتجارة. أبو الفداء، تقويم البلدان، 309.
6() البندقية: من اشهر المدن الإيطالية المطلة على البحر المتوسط وتعرف ايضاً بفينيسيا مدينة عجيبة تطفو على سطح الماء شوارعها مياه ووسائط نقلها زوارق تشتهر بكثرة العمارات والتجارة. أبو الفداء، تقويم البلدان، 311.
7() عبد الله بن خراسان: هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي رابع امراء بنو خراسان الذين حكموا تونس للفترة الممتدة من (488-554هـ/1092-1159م) ولبنو خراسان إنجازات عمرانية عديدة في تونس من أهمها قصر بنو خراسان انتهى حكمهم على يد الموحدين الذين دخلوا افريقية وانهو حكم هذه الامارة في (554ه/1159م). بن ابي الضياف، اتحاف، 150/1.
8() الادريسي، نزهة المشتاق، 492؛ أبو الفدا، المختصر في تاريخ البشر، 309.
9() برونشفيك، تاريخ افريقية، 45/1-55.
10() الوزان، وصف افريقية، 55/2.

بالخيول والعصافير، والوثيقة الثانية كانت تأكيدا لإستمرار العلاقات التجارية مع بجاية [1] ومن اهم المدن التي كانت لها تجارات متبادلة مع الجنويين سكيكدة وقسنطينة التي اشتهرت بتجارة الزيت والحرير والاقمشة الصوفية وهي دليل اخر على كثرة أشجار التوت فيها من جهة وكذلك غزارة انتاج الزيتون والزيت من جهة أخرى الى جانب كثرة انتاج الثروة الحيوانية فيها ولاسيما الأغنام التي يستخدم صوفها لصنع الملابس .[2]

والمهم في الموضوع ان تلك المعاهدات التي عقدت بين الطرفين كانت تعتمد في بنودها على المعاهدة الأولى التي عقدها أبو زكريا مع تلك الجمهوريات مع تعديل في بعض النقاط ليتلاءم بطبيعة الحال مع الوضع القائم عند تجديد المعاهدة .[3]

الخاتمة

من خلال بحثنا في هذا الموضوع توصلنا الى النتائج الاتية:

1) تُعَدُ افريقية (تونس) من افضل أقاليم المغرب الإسلامي صلاحية للزراعة جودة وغزارة انتاج كما تمتاز بتنوع بيئاتها التي انعكست على تنوع المحاصيل الزراعية فهي تمتد من السهول القريبة من السواحل في الشمال حتى الأراضي المنبسطة في الوسط وصولاً لأقاليم الجريد الذي يعد اخر اقليمها من ما يلي الصحراء الكبرى.

2) تمكن الحفصيون بفضل تشجيعهم للزراعة من النهوض بالواقع الاقتصادي بأفريقية فبعد حالة التدهور التي سبقت عهدهم تحسنت الأوضاع الاقتصادية في جميع الجوانب وعلى رأسها الزراعة التي تعد العمود الفقري في اقتصاد أي دولة حيث زرعوا البساتين واكثروا من استصلاح الأراضي وحذا الناس حذوهم وخففوا من الضرائب المفروضة على الأراضي فأقبل الناس على الاكثار من الزروع.

3) تحتل الحبوب الصدارة في المحاصيل الزراعية التي انتجتها افريقية خلال العهد الحفصي والتي اسهمت بدورها في ازدهار التجارة حيث كانت على رأس الصادرات الى الخارج ولاسيما مع الجمهوريات الإيطالية وجزر البحر المتوسط ودول أوروبا مما يعكس غزارة الإنتاج وجودته.

4) بقيت شجرة الزيتون محافظة على الصدارة بين أشجار افريقية جميعاً حتى أصبحت رمزاً لهذا الإقليم منذ ذلك الوقت ولحد الان ولعل ذلك يعود لملاءمة المناخ لنمو هذه الشجرة المباركة التي تعد غذاءً ودواءً في آن واحد.

5) تنوعت الفواكه المزروعة خلال هذا العهد ولعل ابرزها واعلاها انتاجاً التمور حتى اطلق على احد أقاليم افريقية اسم (بلاد الجريد) لكثرة زراعة النخيل فيه وسعة انتاجه من التمور، الى جانب الفواكه الاخرى التي يأتي على رأسها التين والموز والتفاح والسفرجل والاجاص وغيرها.

6) ومن خلال ما تقدم نجد ان للزراعة فوائد عظيمة في تحقيق التنمية المستدامة من خلال تحسين الامن الغذائي وديمومته عن طريق زيادة الإنتاج الزراعي لمساحة الأرض المزروعة ورفع جودة المحصول وتنوعه الى جانب توفير حماية للبيئة وهي من اهم اهداف التنمية الزراعية المستدامة الى جانب العامل الأهم والهدف الاسمى من هذه المهنة العظيمة والتي تتمثل في تحسين الظروف المعاشية الاقتصادية للمزارعين.

الملاحق

ملحق (1) : جدول المدن المشهورة بإنتاج الزيتون

ت	المدينة	المكان	المصدر
1	قابس	في أماكن متعددة وقرب الساحل	التجاني، الرحلة، 90

1() برونشفيك، تاريخ افريقية، 148.
2() الوزان، وصف افريقية، 58/2.
3() برونشفيك، تاريخ افريقية، 154/1 وما بعدها.

2	قرية كتانة	في عامة ارجاء القرية	التجاني، الرحلة، 119
3	قصر الجم	زيتون الساحل	التجاني، الرحلة، 65
4	صفاقس	غابة زيتون قرب سورها	مجهول، الاستبصار، 116؛ ابن عذاري، البيان، 322/1
5	نفطة	غابة زيتون	ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 146/4
6	جزيرة جربة	في شتى ارجائها	ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 122/4
7	منزل تبلبو	غابة زيتون	ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 179/4
8	منزل زنزور	غابة زيتون	ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 214/4
9	حصن سلمى	بساتين زيتون	ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 318/4
10	قلعة شنكس	أشجار متفرقة	ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 318/4
11	توزر	غابة زيتون	ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 319/4

ملحق (2) : جدول المدن المشهورة بإنتاج الحبوب

ت	المدينة	المحصول	المصدر
1	المهدية	القمح/الشعير	ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، 214
2	تونس	القمح/الشعير	ابن الشماع، الأدلة البينية، 191
3	سكيكدة	القمح	الوزان، وصف افريقية، 55/2
4	قسنطينة	مختلف الحبوب	الحموي، معجم البلدان، 64/1
5	بونة (عنابة)	القمح	الوزان، وصف افريقية، 65/2
6	الاربس	القمح/الشعير	الوزان، وصف افريقية، 65/2
7	باجة	القمح	الوزان، وصف افريقية، 66/2
8	عين زمت	مختلف الحبوب	الوزان، وصف افريقية، 144/1
9	بجاية	شعير/كتان/قنب	الوزان، وصف افريقية، 59/2-67
10	نكاوس	قمح	الوزان، وصف افريقية، 53/2
11	القُل	قمح	الوزان، وصف افريقية، 54/2

ملحق (3) : جدول المدن المشهورة بإنتاج التمور

ت	المدينة	المكان	المصدر
1	قابس	غابة قابس	التجاني، الرحلة، 86-90
2	قرية الزرارات	أماكن مختلفة	التجاني، الرحلة، 122
3	جزيرة جربة	في مختلف الارجاء	التجاني، الرحلة، 135
4	حمة مطماطة	غابة نخيل	التجاني، الرحلة، 141
5	منزل مجزم	غابة نخيل ممتدة	التجاني، الرحلة، 141
6	عيون رحال	أشجار نخيل	التجاني، الرحلة، 143
7	مدينة طرة	حول المدينة	التجاني، الرحلة، 158
8	مدينة توزر	غابة توزر	التجاني، الرحلة، 179
9	منزل تبلبو	غابة نخيل	التجاني، الرحلة، 181
10	منزل مارث	غابة نخيل	التجاني، الرحلة، 207
11	زواراة الصغرى	في أماكن مختلفة	التجاني، الرحلة، 210
12	زواراة الكبرى	في أماكن مختلفة	التجاني، الرحلة، 214
13	زواغة	غابة نخيل	التجاني، الرحلة، 214
14	قرقوزة	غابة نخيل	التجاني، الرحلة، 246
15	زنزور	غابة نخيل	التجاني، الرحلة، 214
16	طرابلس	في كل بيت	التجاني، الرحلة، 246

ملحق (4) : جدول المدن المشهورة بإنتاج الفواكه

ت	المدينة	الفاكهة	المصدر
1	رادس	كروم (عنب)	التجاني، الرحلة، 25
2	قابس	تين/اعناب/توت/موز	البكري، المغرب، 17؛ مجهول، الاستبصار، 112-113
3	جزيرة جربة	عنب/تين/تفاح	مجهول، الاستبصار، 122
4	رقادة	فواكه متنوعة	البكري، المغرب، 27-28؛ الحموي، معجب البلدان، 507/2

5	مدينة بشرى	سفرجل/كمثرى	مجهول، الاستبصار، 154
6	قرية تاجورا	سفرجل	مجهول، الاستبصار، 154
7	قرية بصرمان	تين/رمان/خوخ	التجاني، الرحلة، 212
8	منزل زنزور	تفاح/رمان/عنب/تين	التجاني، الرحلة، 214
9	طرابلس	عنب/جميز فواكه متنوعة	البكري، المغرب، 87؛ الادريسي، نزهة المشتاق، 121
10	حصن سلمى	كروم (عنب)	التجاني، الرحلة، 318
11	جلولاء	فواكه غزيرة	مجهول، الاستبصار، 119
12	قلعة سنان	فواكه وثمار	البغدادي، مراصد الاطلاع، 262/6
13	تونس	لوز/رمان/اترج سفرجل/تين	مجهول، الاستبصار، 121؛ ابن ابي دينار، المؤنس، 6
14	القُل	عنب/تفاح	البكري، المغرب، 83؛ الادريسي، نزهة المشتاق، 102-103

شجرة العشر

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B4%D8%A7%D8%B1#/media/%D9%85%D9%84%D9%81:Tapuach-sdom.jpg

شجرة الطلح

https://saudilarac.com/ar/blog/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%84%D8%AD-%D8%A3%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D8%B7-%D8%A3%D9%88-%D8%A3%D9%83%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%8C-acacia-bark/a-2085288566

حب العزيز

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B2%D9%8A%D8%B2#/media/%D9%85%D9%84%D9%81:Cyperus_esculentus_012.jpg

References

1. Ibn Abi Al-Diyaf, Abu Al-Abbas Ahmad bin Al-Hajj Omar (d. 1291 AH / 1874 AD).
2. Ithaf Ahl al-Zaman Bi News of the Kings of Tunisia and the Era of the Imam, edited by: Committee of the State Book for Cultural Affairs, Official State Printing Press, Al-Fajala Press, (Tunisia: 1960).
3. Ibn Abi Dinar, Abu Abdullah Muhammad Al-Ra'ini (d. 1111 AH / 1698 AD).
4. Al-Mu'nis fi Akhbar Afriqiya and Tunisia, edited by: Muhammad Shammam, Al-Maktabah Al-Atiqa, (Tunisia, 1967).
5. Ibn al-Khatib, Lisan al-Din Muhammad (d. 776 AH / 1374 AD).
6. Ibn Al-Shamaa, Abu Abdullah Muhammad Ibn Ahmad Al-Hantati (d. 861 AH / 1465 AD).

7. The Intermediate Evidence of Light, in the Glories of the Hafsid State, edited and presented by: Al-Tahir bin Muhammad Al-Hawari, Arab House of Books, (Biskra: 1984).
8. Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Saeed Al-Andalusi (d. 456 AH/1063 AD).
9. Jamharat Ansab al-Arab, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition, (Beirut, 1983).
10. Ibn Khaldun, Abu Zaid Abd al-Rahman Muhammad al-Hadrami (d. 808 AH / 1405 AD).
11. Lessons and Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar in the days of the Arabs, Persians, Berbers, and those of their contemporaries who had the greatest authority, Jamal Printing Establishment, (Beirut, 1979).
12. Ibn al-Khatib, Lisan al-Din Muhammad bin Muhammad bin Abdullah bin Saeed al-Salmani (776 AH/1374 AD).
13. Ibn Fadlallah Al-Amri, Shihab Al-Din Ahmed bin Yahya (d. 749 AH).
14. Paths of Vision in the Kingdoms of Egypt, supervised by Kamel Salman al-Jubouri, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut: 1971).
15. Ibn Qunfud, Abu Al-Abbas Ahmad bin Hassan Al-Qasantini (d. 810 AH / 1417 AD).
16. The Persian in the Principles of the Hafsid State, edited and commented by: Muhammad al-Shazly and Abd al-Hamid al-Turki, Dar al-Tunisia, (Tunis: 1986).
17. Ibn al-Salah, Abd al-Malik (d. 605 AH/1208 AD).
18. The history of manna of imamate over the oppressed by God making them imams and making them heirs, edited by: Abd al-Hadi al-Tazi, (Iraq, 1979).
19. Ibn Adhari, Abu Abbas Ahmad bin Muhammad al-Marrakshi (d. after 712 AH/1312 AD).
20. Al-Bayan al-Maghrib fi Akhbar al-Andalus wa al-Maghrib, investigation and review, by S. Colan and Levy Provençal, edited by: Ihsan Abbas, (Beirut: 1980).
21. Abu Al-Fida, Imad al-Din Ismail bin Muhammad bin Omar (d. 732 AH/1331 AD).
22. Calendar of Countries, corrected by Reynaud and Baron Mac Coquin de Ceylon, (Paris, 1840).
23. Al-Bakri, Abu Ubaid Allah Abdullah bin Abdul Aziz (d. 487 AH / 1094 AD).
24. Morocco in mention of African countries and Morocco, which is part of the book Paths and Kingdoms, published by De Slane, (Algeria, 1857).
25. Al-Tijani, Abu Muhammad Abdullah bin Muhammad (d. after 717 AH / 1317 AD).
26. Al-Tijani's Journey, edited by: Hassan Hosni Abdel-Wahhab, Official Press, (Tunisia, 1958).
27. Al-Hamawi, Shihab al-Din Yaqut (d. 626 AH / 1228 AD).
28. Dictionary of countries, presented by: Muhammad Al-Maraashli, new revised and corrected edition, Dar Ihya' al-Arabi al-Turath, (Beirut, 1979).
29. Al-Himyari, Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad (d. 900 AH / 1494 AD).
30. Al-Rawd al-Mu'ttar fi Khabar al-Aqtar (A Geographical Dictionary with a Historical Narration), edited by: Ihsan Abbas, Dar al-Ilm Lil-Malayin, (Beirut, 1975).
31. Al-Zarkashi, Abu Abdullah Ibrahim (d. 894 AH / 1488 AD).
32. The History of the Almohad and Hafsid States, edited and commented by: Muhammad Mazur, 4th edition, Al-Maktabah Al-Atiqa, (Tunis, 1966).
33. Al-Marrakshi, Abu Muhammad Abd al-Wahid (d. 647 AH / 1249 AD).
34. Al-Mu'jab fi Takhris Al-Maghrib Al-Maghrib, explained and taken care of by Salah Al-Din Al-Hawari, 1st edition, (Beirut, 2006).
35. Al-Wazzan, Al-Hasan bin Muhammad Al-Wazzan Al-Fasi (d.).

36. Description of Africa, translated from the French by Muhammad al-Hajji and Muhammad al-Akhdar, Dar al-Gharb al-Islami, publications of the Moroccan Society for Authoring and Translation, 2nd edition, (Beirut, 1983).
37. An unknown author, an Andalusian from the sixth century AH/twelfth century AD.
38. Insight into the Wonders of the Lands, edited by: Saad Zaghloul Abdel Hamid, (Baghdad: 1986).
39. Arabic and Arabized references
40. Brunswick, Robar.
41. A History of Africa in the Hafsid Era from the Thirteenth Century to the End of the Fifteenth Century AD, Translated into Arabic: Hamadi al-Sahili, 1st edition, (Beirut: 1988 AD).
42. Zabis, Suleiman Mustafa.
43. Among the Islamic monuments in Tunisia, House of Culture, (Tunisia: 1963).
44. Abdel Wahab, Hassan Hosni.
45. Summary of the History of Tunisia, (Tunisia, 1997).
46. Al-Mutawy, Muhammad Al-Arousi.
47. The Hafsid Sultanate, its Political History and its Role in the Islamic Maghreb, Dar Al-Gharbi Al-Islami, (Beirut: 1986).